الجهود النقدية في شعر ابي الشيص الخزاعي

م.د. غانم عبد السادة خليف

المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة/ الثانية

الملخص:

هذا بحث يتناول بعض الجهود والآراء النقدية في شعر شاعر عباسي مغمور (ابو الشيص الخزاعي) المتوفى لسنة ١٩٦ للهجرة. والتي رأيت من الفائدة العلمية ان اضعها في سطور هذا البحث سيّما بعد ان تحول الشعر والادب في عصر الشاعر الى فن وصناعة ، فكان من الطبيعي ان يتأثر النقد بتلك الثروة الادبية الواسعة تأثراً غلبت علية الصبغة الفلسفية والاستدلالية ،أذ جعلت من الناقد مبتعداً عن الاحكام الاستنباطية وخاضعاً لسلطات المنطق ومدعوماً من ثقافات اخرى وافدة تأثر بها شكلاً ومضموناً

الكلمات المفتاحية: (الجهود النقدية، السبغة الفلسفية، ابو الشيص الخزاعي).

Critical Efforts in the Poetry of Abi Al-Shees Al-Khuzaie

Dr.. Ghanem Abdel Sada Khalif

The General Directorate of Education, Baghdad, Al-Rusafa /II

Abstracts:

This research deals with some efforts and critical opinions in the poetry of an obscure Abbasi poet (Abu al-Shees al-Khuzai), who died in the year 196 AH. Which I saw of scientific interest to put it in the lines of this research, especially after poetry and literature in the poet's era were transformed into art and industry. The authorities of logic and supported by other cultures, influenced by the form and content.

Keywords: (critical efforts, philosophical sabbath, Abu Al-Shees Al-Khuzai).

ترجمة حياة الشاعر واخباره

ابو الشيص الخزاعي هو محمد بن عبدالله بن رزين بن سلمان بن بهر بن حراس بن خلف بن دعبل بن انس بن مالك من قبائل خزاعة وانه من ولد اسلم بن اقصى بن حارثة **(جمهرة انساب العرب ،ابن حزم ١: ١٠٥)** ومن بيت وصف من بيوتات الشعر**(العمدة ،القيرواني ١: ٣٠٧)** ،وابا الشيص لقبا جاءه من مهنة بيع التمر حيث تطلق مفردة الشيص على شقة التمر الصغيرة ،.كنيته ابو جعفر وهو ابن عم الشاعر العباسي المعروف دعبل الخزاعي . **(ينظر: الأغاني، ابي الفرج ١٦: ٤٠٠)**،لم يذكر الرواة شيئاً عن ولادته ونشاته الاولى غير انهم ذكروا ان ابا الشيص ولد في الكوفة وترعرع فيها ولازم دعبلاً زمناً طويلاً ،واستسقى منه صناعة الشعر ثم اتجه الى حاضرة الدولة العباسية بغداد، ودرج في بلاط هارون الرشيد ومدحه، ثم انقطع امير الرقة ابن الاشعث الخزاعي فمدحه بإشعاره ونال رضاه . .**(ينظر: تاريخ بغداد ،البغدادي ،١: ٥٠٤).**

ذكر ابن النديم ان لأبي الشيص ديواناً صنعه ابو بكر الصولي المتوفى سنة ٢٣٤ للهجرة، وقال هو في خمسين ومائة ورقة،**(الفهرست ،ابن النديم :٢٣٠)** وقد عني بذكر أشعاره الخليفة المعتز بعد ان اخذ اخباره عن العامري ابي خلف بن صعصعة ،اذ يذكر لنا الخطيب البغدادي عن العامري قوله في تكذيب من يدعي ان هناك من هو اشعر من ابي الشيص في زمانه وان ابا الشيص كان من اعذب اهل الشعر في الالفاظ واجودهم في صبغة الكلام واحكمهم في وصف الخمرة فضلا عن اجادته في مدح الملوك والامراء ايما اجادة تستحق الوقوف عندها والتأمل في ما خرجت اليه معانيها من حسن سبك واطراء وحلاوة **(ينظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي.:٣ :٣٩٥)**. ،اما من المعاصرين فقد ذكره الشيخ محمد عبدالمحسن الطهراني (أغا برزك الطهراني) في موسوعته (الذريعة الى تصانيف الشيعة) ، ولابي الشيص ولد يقال له عبدالله كان

شاعراً ايضا ، (**طبقات الشعراء ،ابن المعتز :٣٦٥**) ، فقد ابو الشيص بصره في آخر ايام عمره وقد ذكرت لنا المصادر انه كان دائم النعي لعينيه قبل ذهابهما وبعدها ، اما وفاته فكانت (١٩٦ للهجرة) مقتولا (**ينظر الاغاني ،ابي الفرج ١٦: ٢٨٥ وطبقات الشعراء ابن المعتز: ٣٦٦)**، ولقد كانت أشعاره ونوادره وملحه كثيرة جدا كما ذكر لنا ذلك ابن المعتزفي طبقاته **(ينظر:طبقات الشعراء. ابن المعتز:٨٧)** وقد عده الاصفهاني من شعراء عصره (**ينظر:الاغاني ،الاصفهاني ،١٦:٤٠٠**) ولأبي الشيص أشعار كثيره ذكرتها المصادر القديمة وقد تضمنت هذه الأشعار أغراض المدح والرثاء والفخر والغزل والشكوى والتشبيب ,ولكن وكما يبدو أن أبا الشيص قد أكثر من أسلوب الوصف في هذه الأغراض وغيرها فوصف الأشياء بمشاهدها الحية , وصورها الواضحة, فقد وصف الدنيا وأحوالها وحال الأصدقاء وترحالهم, ووصف الليل وشجونه , والفراق والتلاقي, والعشق ودموع العاشقين, وأبدع في وصف الخمرة وكأسها وساقيها, كما وصف البحر والطير والنبات . وعندما يحاول البحث أن يجد لأبي الشيص وصفا للأشياء فهذا لايعني أنه استطاع أن يجمع كل تلك الصور في شعره وإنما عمد الباحث جاهدا أن يضع بين يدي القارئ الكريم نماذج من تلك الصور بألفاظ جمع فيها أبو الشيص بين الاستخدامين المجازي والحقيقي وقد ابدع الشاعر غاية الإبداع في وصفه لما يمتلكه من جودة في الصنعة وسعة في الخيال وقدرة على التلاعب في الألفاظ وتوظيفها لخدمة المعاني ,فمن روائع وصفه في قصيدة يمدح بها عقبة بن جعفر يصف في مطلعها ذهاب العمر ووفود المشيب بعد أن أتاه رافلا ببياض المشيب, كناية عن أفول العمر وضياعه حيث لم يبق له من من سني عمره غير ندوب عضاض, وكيف لا وقد نفرت به كأس النديم وأغمضت عنه الجميلات من النساء في عمر الشباب حتى اتخذت من محاسن وجهه غرضا من أغراض جفونها بعد أن رمى المشيب غطاء رأسه وأصبح مكشوف الهيئة للناضر, ومؤذنا بفناء ايام الصبا ,ومع ذلك كله فأن الشاعر يواجه قدره المكتوب بالإعراض وعدم المبالاة ،وقد اشار الشريف المرتضى

علي بن الحسين الموسوي العلوي في كتابه (آمالي المرتضى) ان رجلاً قال لأبي العباس المبرد "ما اعرف ضادية احسن من ضادية ابي الشيص التي يقول في مطلعها:

ابقى الزمان بنا ندوب عضاض ورمى سواد قرونه بالبياض

ولقد نفرت كاس النديم به فأغمضت عنه أيما إغماض

ولربما كانت محاسن وجهه وجفونها غرضا من الاغراض

كشف المشيب قناعه عن راسه فرمينه بالصد والاعراض

(ينظر :امالي المرتضى ،المرتضى، ٢ :١٣٣)

ثم ينتقل الشاعر ابو الشيص ليصف لنا ذمه للقيان من النساء ونفوذ حيلتهن مع الرجال ويذكر ان من عادتهن أن لا يصبون الى صنفين من الرجال ,أولهما من اشتعل رأسه شيبا وقد صار شيخا, وثانيهما من ذهب ماله واصابه الفقر والهلاك ويحذر الشاعر من الوثوق بعهودهن فلا عهود لهن وأن سمائهن لا تجلب الغيث أبدا

:والى هذا المعنى يذهب ابو الشيص فيقول

اثنان لا تدنوا النساء اليهما ذوا شيبة ومحالف الانقاض

وعودهن إذا وعدنك باطل وبالبروق كواذب الايماض

(.ديوان ابي الشيص الخزاعي.:٧٢)

ولقد تبين من خلال المصادر التاريخية والادبية المتوفرة ان اكثر اهل الادب يجهلون الكثير عن شخصية هذا الشاعر، وحتى الذين يعرفوه فلا تعد معرفتهم غير كونها معرفة سطحية عابرة من خلال الشواهد الادبية و الاجتماعية المأخوذة من شعره.

الجهود والآراء النقدية

لا يخفى على الدارسين أهمية دراسة القضايا النقدية القائمة على احياء التراث العربي الأصيل والمحافظة عليه ، ولا سيما إذا كانت الدراسة تربط الماضي بالحاضر وترسم المستقبل .فالجهود النقدية في التراث العربي التي اضطلع بها النقاد القدامى قد فتحت منافذ كبيرة للدرس النقدي الحديث ،فكان فكان النقد الوصفي العلمي والنقد المعيارى التقويمي ، ومن هنا صار التركيز على منهجين، احدهما يركز على النص من الداخل وهو المنهج البنيوي والاخر يركز على النص من الخارج وهو المنهج التاريخي او الاجتماعي فضلا عن المنهج النفسي،وسنحاول في هذا البحث أن نبين طبيعة المنهج النقدي الذي سار علية النقاد القدامى بوساطة المعيار النقدي بحسب ما يراه كلاً منهم انه الاجدى نفعا والاقرب وصلاً من سواه ، سيمّا وان تنوع المعايير النقدية يدلل بلاشك على تنوع الشعر واغراضه واتجاهاته .فالمعيار الحكمي الذي يمثل اولى بوادر النقد الادبي وذلك باستخدام (افعل التفضيل) في الحكم (اغزل بيت، اهجى بيت ،أشجع بيت ...وهكذا)هو المعيار الذي يعبر عن النزعة في التعبير عن موقف الذات الإنسانية المجبولة على موقفها **(النقدية العربية، الجنابي :٢١٨)** هو المعيار الذي سار عليه ابن عبد ربه الاندلسي في عقده الفريد بعبارة (احسن من هذا) و (اصدق من ذلك كله) اذ يقول بحق وصف ابي الشيص للغراب ان ابا الشيص قد خالف من تقدم من شعراء عصره في وصف الغراب والتطير به فقال في وصف الغراب ماهو (احسن من قولهم) و(اصدق مما وصفوا) **.(ينظر:العقد الفريد ،الأندلسي ، ٢: ٣٣٤)**، اما الثعالبي والذي تبين لنا من خلال آراءه وتعليقاته اتخاذه للمعيار النفسي في القراءة والتحليل لما كتبه الشعراء ، ذلك المعيار الذي يتركز حول دواعي الشعر واسبابه والاوقات التي تساعد عليه ،اذ يدخل فيه الخوف والرجاء والطمع وتأثير ذلك على النفوس ،فبعد ان يصف لنا الثعالبي التطير من الغراب عند العرب لا يجد شاهداً ادل واقوى من

ابيات ابي الشيص في وصف الغراب مستدلاً بها حجة لما ذهب اليه فنراه مستشهدا بقول ابي الشيص :

ما فَرق الأحباب بعد الله الا الإبلُ

والناس يلحون غراب البين لما جَهلوا

وما إذا صاح غراب في الديار احتملوا

وما بظهر غراب البين تطوى الرحل

وكذلك قول ابي الشيص:

ومن كان الغراب له دليلا فناووس المجوس له مصير **(التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي ،١:٧٨)**

اما ابو العباس عبد الله ابن المعتز الذي توزع جهده النقدي على محورين رئيسيين هما:

المحور او المعيار النقدي والمحور او المعيار الأخلاقي ،اذ يكون النظر الى الاخير نظرة اخلاقية ،بعد أن ينظر الى النص (الشعر او شاعره) بحسب ما يلتزم به من موقف اخلاقي، فالموقف الاخلاقي يستوعبه النقد الاجتماعي أو الرؤية الاجتماعية اكثر مما يستوعبه النقد لان من واجب الموقف النقدي ان يرتكز على النص بشكل مباشر، كون الرؤية النقدية العربية قد جعلت المعنى بموازاة الشكل أو غلبته احيانا ،لذا يأخذ الجانب الاخلاقي جانباً مهماً من النقد العربي **(ينظر: النقدية العربية ،الجنابي : ٢٢٢)**،ومن هنا يحدثنا ابن المعتز في طبقاته في خبر منقول عن النوفلي عندما كان

بواسط ومعه ابن ابي الشيص ،فكانت المجاراة في أمر الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض ,حتى قال ابن ابي الشيص وكان شاعرا : انا اشعر الناس بعد ابي وان كان اشعر من جميع من مضى ومن بقي، فرددت عليه مقولته بقولي:كذبت في نفسك خاصة فلعمري ان اباك كان اشعر اهل زمانه. (ينظر:طبقات الشعراء ،ابن المعتز :٣٦٦) ،وقد اشار ابن المعتز كذلك في طبقاته انه مما سارت به الركبان وطار ذكره لابي الشيص ما كان من نونيته :

شاقك والليل ملقى الجران نوح الغراب على غصن البان

احم الجناح شديد الصياح يبكيك بالعينين التي لاتهملان

وفي نعبات الغراب اي اغتراب وفي البان دهر بعيد التدان

لعمرك لئن فزعت مقلتاك إلى دموع قطرها غير وان

فحق اذا لعينين ان لاتجف دموعها وهما اذ تقطران

من كان في الحي بالامس قريب االمكان بعيد المكان

فهل ياعيش بعدها من رجعة بايامنا المونقات الحسان .

(ينظر:طبقات الشعراء ،ابن المعتز: ٧٨)،

وفي قصيدة اخرى للشاعر العباسي ابو الشيص الخزاعي يقول في مطلعها :.

يا دار مالك ليس فيك انيس. الا معالم ايهن دروس

الدهر غالك ام عراك مِن البلى بعد النعيم خشونة ويبوس

ما كانَ اخصب عيشنا بك مرة ايام ربعك اهل مانوس

فسقاك يارب البلى منجرف فيه الرواعد والبروق هجوس

دار جلا عنها النعيم فربعها خلق تمر به الرياح يبيس

فلقد عدها ابن المعتز من كونها من قلائل ابي الشيص البالغة السائرة في الارض لما لها من جنس يجمع بين بين الشعر والموسيقى وإيحاءات قويه تنم عن نزعة انسانية وتامل غريب في عباراتها وخيالها الواسع فضلا عن الترتيب في تتابع الكلمات **(ينظر: طبقات الشعراء ،ابن المعتز: ٨٢)**

وفي قطعة شعرية اخرى لابي الشيص يذكرها لنا ابن المعتز كذلك في طبقاته وهي من اربعة ابيات كان قد مدح فيها الشاعر الخليفة المأمون قال فيها:

جلا الصبح اوني الكرى جفونه وفي صدره مثل السهام القواصد

تمكن من غراته الحب فانتحى عليه بايد ايدات حواشد

اذل خظرت الشوق قلبن قلبه وشدد بانفاس شداد المصاعد

يذكره حفص الهوى ونعيمه سوالف الايام هن ليس بعائد

اذ يذكر لنا كذلك ابن المعتز ان هذه المقطوعة انشدت عند الخليفة المأمون ،فاستحسنها وافرط في استحسانها ثم انشد في ذلك المجلس لبشار بن برد وبن الوليد فلم يلتفت لهما ،وفضل ابا الشيص عليهما وعلى من كان في المجلس من الشعراء(**ينظر: طبقات الشعراء ،ابن المعتز: ٨٤)** ووصف ابن كثير ابا الشيص بقوله: (أن ابا الشيص كان أستاذ الشعراء وأنشاء الشعر ونظمه اسهل عليه من شرب الماء) **(البداية والنهاية ،ابن كثير ، ١٠: ٢٣٨)** بينما عدَه ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة ان ابا الشيص الخزاعي كان من طبقة ابي نؤاس ومسلم بن الوليد اذ يقول :

(ومن طبقتة العباس بن الاحنف،وصريع الغواني مسلم بن الوليد ، والرقاشي، وابو الشيص ،ودعبل الخزاعي والحسين بن الضحاك) **(العمدة ، القيرواني، ١ :١٠١)** وهذا ماذهب اليه جامع ومحقق شعره الدكتور عبد الله الجبوري بقوله " ان ابا الشيص ليس اشعر اهل زمانه ولا هو استاذ الشعراء كما ذهبت اليه بعض المصادر وإنما هو من طبقة أبي نؤاس،واحسب ان الاخيريزه في خمرياته ويفوق عليه في زهدياته) **(ينظر :اشعار ابي الشيص واخباره ،الجبوري : ١٥)**، ولقد تضاربت الآراء حول نسبة قصيدة الدعية او (اليتيمة) الى ابي الشيص اوغيره ،كالشاعر العكوك الكندي او غيرهما من شعراء العصر الجاهلي والتي مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد ام هل لها بتكلم عهد

قد ابلى الجديد جديد عهدها فكانما هو ريطة جرد

من طول ماتبكي الغيوم على عرصاتها ويقهقه الرعد

وثلث سارية وغادية ويكر نحس خلفه سعد

(قصائد العشق والجمال،لطباع :٤٩)

وتذكر لنا المصادر عن نسبة هذا القصيدة انها عزيت إلى سبعة عشر شاعرا كل منهم ادعاها لنفسه ويرى الدكتور الجبوري" ان القصيدة يمكن ان تكون للشاعر ابي الشيص الخزاعي بعد رفع الأبيات المنحولة والمقمحه فيها للتدليل على ان قائلها من تهامة او من كنده ,ويدعم الجبوري رأيه هذا في عدم اختلاف هذه القصيدة من حيث قوة البيان والروح الشعري عن شعر ابي الشيص الذي يشيع فيه كما إن جمهور كبير من أجلة علماء اللغة والأدب والتاريخ قال بهذا الرأي_على حد تعبير الجبوري- **(ينظر: أشعار ابي الشيص الخزاعي. الجبوري:١٢٦)**

فيما يذكر لنا أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه الشعر و الشعراء قصيدة ابي الشيص التي كان مطلعها:

نهى عن خلةِ الخمر بياضا لاح في الشعر

وقد اغدو وعين الشمس في الوانه الصفر

على جرداء قباء الحشا ملهبة الخصر

بسيفٍ صارمِ الحد ورق احدب الظهر

وضبي تعطف الأردا ف مثنية على الخضر

. من انها من جيد اشعار ابي الشيص التي ابدع فيها وصفا وانها مما يتخير له من شعره وفي اختيارها معاني استجداة واستحسان ومبالغة في الوصف ، **واستعارات وتشبيه (ينظر : الشعر والشعراء ابن قتيبة: ٢ ٨٤٧).** والى هذا المعنى يذهب ابن رشيق بقوله(ان الشعر ما اشتمل على المثل السائر،والاستعارة الرائعة، والتشبيه الواقع،وما سوى ذلك فانما لشاعره فضل الوزن) (العمده ،ابن رشيق :١ : ١٢٢)

واما من النقاد المعاصرين فمنهم من لم يات بشيء جديد امثال جرجي زيدان والعباسي صاحب كتاب معاهد التنصيص ،وانما كرروا ما ذكره اسلافهم من الرواة ومنهم من وصفه وصفاً دل على الاعتدال ،امثال عمر فروخ الذي ذكر ان ابا الشيص سهل الشعر مرح في قوله وشعره متوسط في الجودة ويدور شعره على المديح، والرثاء، والوصف والعتاب ، والغزل وهو حسن المدح، بارع في وصف الخمر، وفي الطرد، وفي وصف الليل وقد رثى عينيه فاكثر وأجاد) **(تاريخ الادب العربي، عمر فروخ، ٢: ١٤٨).** يستفاد مما ذكرناه .ان ابا الشيص كان يعبر عن رايه النفسي فيما ورد عنه بعد ان غلب عليه الشعر وصار اكبر همه وامتلأ منه صدره دون سواه بعد ان اتخذه

أدبا وظرفا وشعارا لحكمة او موعظة ،فكانت له خيالات واسعة وتشبيهات واستعارات كثيرة ،ومبالغة في الوصف حينا وهذا مما لا ينفك عن احدها شاعر أبداً.

ميمية ابو الشيص

قبل الولوج في الحديث عن الأبيات الأربعة المشهورة من ميمية الشاعر أبي الشيص الخزاعي والتي رأيت جليا من خلال البحث استئثار واهتمام أكثر الباحثين بهذه الأبيات لما لها من جمالية خاصة وعمق فني ودلالي, كان لابد من الإشارة إلى ان لابي الشيص اسلوبا خاصا يكاد يختلف فيه عن شعراء عصره, أذ ان له خيالا واسعا وشاعرية نادرة ووضوحا تاما ,وأسلوبا فنيا, يكاد يقترب فيه من أسلوب الشعر الجاهلي, فتراه يبتعد احيانا عن استعمال الألفاظ الدارجة في عصره العباسي الأول, بل أجده يضفي على تلك الألفاظ سمة جمالية خاصه حتى يجعلها من خلال الوصف تنساب إلى متلقيها فتطرق ابواب مسامعه عنوة, ولست هنا بصدد الإسهاب في تفصيل ذكر أشعار ابي الشيص بقدر رغبتي كباحث في الإشارة الى ما ذكره العلماء في سعة علمه وثقافته بالشعر وقلما اطلعت على مصادر من مصادر البحث الا وكانت ميمية قد تصدرت أشعاره وأخباره فعمدت إلى بيانها وذكر جهود بعض الشعراء والنقاد فيها فلا تحول القدرة على نظم الشعر دون القدرة على تحليله ونقده ،والمَيْز بين الغث منه والسمين، ولا أعني بتلك المصادر مصادر الشعر والأدب فحسب بل يتعدى ذلك إلى كتب اللغة والبلاغة العربية، ومن الجدير ذكره إن لهذه الأبيات حكاية ترويها لنا الكثير من المصادر ومنها ما ذكره صاحب الاغاني في خبر عن محمد الانباري عن ابن عبيد حيث اجتمع ابو نؤاس ومسلم بن الوليد ودعبل وابو الشيص في مجلس واحد فتناظروا على ان ينشد كل واحد منهم اجود ما قاله من الشعر فاندفع رجل كان معهم ليسمعهم بما انشد كل واحد منهم من جميل الشعر حتى اتى عليهم واحدا تلو االآخروكل منهم يقول :صدقت

ثم جاءت النوبة على أبي الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر فكأني بك تريد بضاديتك التي ابتدأت فيها:

لاتنكري صدي ولا اعراضي....الى آخر ماذكرت ....

فقال له ابي الشيص ما هذا بأجود شيء قلته ،حتى انشدهم قوله :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متاخر عنه ولا متقدم

اجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليملني اللوم

واهنتني فأهنت نفسي جاهدا ما من يهون عليك ممن يكرم

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم

(ديوان ابي الشيص:٩٥)

قال: فقال أبونؤاس أحسنت، لأسرقن هذا المعنى منك سرقا خفيا ثم ليشتهر ما أقول فانشد قائلاً

فما جازه جود ولا حل دونه.. ولكن يسير الجود حيث يسير...فسار ما انشده ابو نؤاس وسقط ما انشده الشيص **(ينظر: الاغاني لابي الفرج الاصفهاني : ١٦. ٤٣٥.وطبقات ابن المعتز :١ :١٨.والعقد الفريد ،باب اخبار الشعراء :٢ :٣٤٣)**

يقول المرزوقي في حماسته شارحا لهذه الابيات ،يقول ابو الشيص : لقد حبست من اثر ما اصابني من هواك في الموضع الذي تستقرين فيه فلزمته ولم اعد افارقه ، فأكون معك حيث تقيمين وتظعنين، لا سبيل ان اعدل عنك ولاسبيل ان أميل إلى سواك، ومن تجرأ منهم ولامني فيك اخذتني لذة لومه محبة وشوقا لذكراك وشغفا باسمك ووجدا، ولا ابالي ان استمر اللائمون في لومهم فاني غير مكترث بلومهم

وانكارهم علي ، فانهم لن يجدوا مني رجوعا او مللا او قصورا فيما عزمت عليه، وقول ابي الشيص حباً لذكرك، قد جاء منتصبا لوقوعه مفعول به، مفسرا لعلة لذته، بما يصيب غيره ضجرا، وهو اللوم والعتاب والانكار.**(بنظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١ :٤٢٠)**

ويقول ابن داود الاصبهاني في كتابه الزهرة في شرح ابيات ميمية ابي الشيص الخزاعي:

واذ تقوى الحال فيصير الهوى عشقاً ، ويمنع العاشق من سرعة الانحدار في هوى معشوقه ما كان من إشفاقه عليه وحسن ضنه به حتى لو تطلب الامر إبقاءه عليه ليدعوه إلى مخالفته وضديته أوترك الإقبال عليه ، ذلك ان .من النَّاس من قاس متوهما لهذه العلَّة في ان الهوَى اقوى من العشق والظاهر ان الأمر ليس كما توهموا، اذ يزداد العشق فيصير بعدها العاشق متيما، بعد ان يكون الاستيفاء حاضرا بين العاشق والمعشوق فلا يكون فيه معها فضل لاحدهما عن الاخر ولا يزيد بقياسه شيئاً الا وجدته واضحا وجليا متكاملاً فيها،ولو لم يقل أبو الشيص في عمره بل وحتى من شعراء عصره غير هذه الابيات الأربعةِ لكانوا مقصرين ، فزوال العلة بزوال الهوى وان المرابط يبقى متنقّلاً إلى أن يصادف من يرى فيه هواه فحينئذ يرضاه لنفسه، وحينئذ لا ينعطف عنه الى مخلوق سواه. **(ينظر :الزهره.لابن داود الاصبهاني: ١ :٦٠).**

اما اللغوي والاديب ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) . .فقد ذكر الشاعر ابو الشيص في كتابه (سمط اللآلي في شرح أمالي القالي) بقوله: (ان ابا الشيص من مقدمي شعراء عصره وأنا اخمل وقوعه بين مسلم بن الوليد وأبي نواس ولم لم يكن له الا هذا الشعر يعني به قول ابي الشيص في ميميته .لاستحق به التقديم، واستوجب التفضيل) .(ينظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ١ :٥٠٦)

ولم تخلُ كتب النقد من ذكر ابيات ميمية أبي الشيص والاستشهاد بها فهذا اسامة بن منقذ في كتابه (البديع في نقد الشعر) باب المخالفة يستحسن قول ابي الشيص في ابياته الاربعه فيقول:

ولقد احسن ابو الشيص وصفا وزاد في الاحسان، لما مدح لائميه حرصاً منه على سماع ذكر المحبوب، حتى خرج عن مذهب الشعراء بعد ان زاد وشرح راجعا بذلك الى مذهب العتب حتى ذكر محبته لاعداءه لما أشبهوا معشوقته في نقص حظه منهم.(ينظر:البديع في نقد الشعر. أسامة بن منقذ.:٣٩)..

كذلك لم تخل كتب الحديث من الاستشهاد بأبيات ابي الشيص الخزاعي الآنفة الذكر، فهذا ابن حجر العسقلاني في كتابه التلخيص فقد جمع فيه صاحبه طرق الحديث في مكان واحد، وتكلم عليها كلام المطلع الناقد البصير، مصورا حال القوم ممن تركوا الاختيار ووافقوا الاقدار ،فلم يبق لهم تلذذ بالهوى ولا استعذاب ولم يبق لهم راحة ولا عذاب مستشهدا بذات الابيات الاربعة من ميمية ابي الشيص الخزاعي (**ينظر:التلخيص الحبير. العسقلاني :١.: ٦٩)**.كذلك كان لابي الشيص بصمة في كتب النصح والارشاد اذ نجد في كتاب المدهش لابن الجوزي وهو كتاب مزج فيه مؤلفه النصح والارشاد بروائع شعر الزهد والتصوف تعجباً من قول الشاعر ابي الشيص:

وقف الهوى بي .....الى اخر الابيات

حيث يعلق (واعجبا أو يقدر المحب على التصرف في قلبه) (**المدهش. لأبي الفرج ابن جعفر الجوزي :٤٧٣).**

وأما في كتب البلاغة فيكتفي الباحث بذكر مثالين في استشهاد البلاغيين بأبيات ميمية ابي الشيص الخزاعي:

المثال الاول:

ماورد في كتاب (الايضاح في علوم البلاغة) للخطيب القزويني معرجا لقول ابي الشيص في هذه الابيات الاربعة قوله: ولا يغرك من تشابه البيتين أن بقع أحدهما في غرض النسيب والآخر في غرض المديح اوالهجاء او الافتخار أو غير ذلك ،ذلك ان الشاعر الحاذق حين يعمد . إلى المعنى المختلس لينظمه اصطنع الحيلة في إخفائه مغيرا في لفظه ،عادلا به عن النوع والوزن والقافية ناقلا معنى الاول الى غير محله حتى يكون معنى الثاني نقيض مااراده في المعنى الاول ساعيا بذلك قلب المعنى الى نقيضه فذلك من دليل الدربة وحسن السبك والنظم في لغة الشعرالعربي. **(ينظر: الإيضاح .. الخطيب القزويني: ٣١١)**

المثال الثاني :

ما ذكره ابو هلال العسكري في كتابه الصناعتين الذي تبني فيه على ما يبدو المعيار الزمني (السبق) في منهج كتابه ،وهو المعيار الذي يقدم الشعر او الشاعر لقدمه وسبقه الزمني والتاريخي سيمّا وان السرقات الشعرية ترتبط ارتباطا مباشرا بالسبق والقدم فغالباً ما يتهم الشاعر بالأغارة على الفاظ ومعاني الآخر وقد توضح هذا المعيار في نقد ابن قتيبة حينما أشار الى اخذ المتأخرين ممن سبقهم او عاصرهم ،وقد سار عليه ابو هلال العسكري فيما بعد، ولكن وكما يبدو ان ابا هلال العسكري لم يلتفت لسرقة ابي نؤاس للبيت الذي اسشهد فيه من شعر ابي الشيص في ميزات غرض التشبيب في الشعر في معرض قوله "ان لشدة الصبابة وكثرة الوجد وافراطه من غير جلادة وخشونة دلالة على التشبيب . ومن أمثلة ذلك قول أبي الشيص الخزاعي : وقفَ الهوى بي ...إلى آخر الأبيات الأربعة " (ينظر كتاب الصناعتين.ابو هلال العسكري.:٤٠)

من خلال ما عرضناه ،نستطيع القول ان شاعرنا شق لنفسه طريقا ومنهجا انسانيا للكشف والايجاد ،رغم معاناته في فقد بصره آخر ايام عمره ،مسلوبا من احدى ميزات الحرية مكابدا الاختناق والعزلة نتيجة لهذا الاثر ،الا ان اشعاره كان لها حضورا بارزا و كانت له مرتبة متوسطة بين شعراء عصره كما يرى بعض النقاد ، اذن فنحن بازاء شاعر تجلت شاعريته بعمق النفس وبقدر ما اسعفتنا المصادر المتوفره فقد كان الشاعر الخزاعي ابعد مايكون عن اتصافه بشخصية لطيفة فقد كان مترفعا كما يبدو بل وحتى طامحا لبلوغ منزلة نبيله بين شعراء عصره. في الوقت الذي عبر بشار بن البرد وابو نؤاس ومسلم بن الوليد عن وجهة النظر الماجنة في ذلك العصر فيما عرف بالخمريات، لقد شكل المديح جزءا كبيرا من شعره وفقا لمتطلبات العيش في تلك المرحلة ،مغترفا من محيطه المدرك و مصورا ذلك الواقع بطريقة جمالية بعد ان وصف محبوبته ولوم اللائمين في عشقه اياها، ورغم ادراجه تحت لائحة الشعراء المغمورين من شعراء العصر العباسي ورغم ان لناقدي الشعر والمتخصصين في نقده اقوال مختلفة فيمكننا القول: ان الشعرانما هو فناً يمثل الرؤية الانسانية المجردة، (اذ ينبع في قوته من حياة البشرية قد نبتعد كثيرا عن معناه لو حاولنا ان نجد له اصلا في العوامل الشخصية) **(الشعر والاسطوره ،موسى سهيل :٤٩)** وان النفس الانسانية مفطورة على الجمال والابداع من حيث المبدأ وآن معايير جمهور النقاد غالباً ماتكون معايير فطرية قابلة للصعود والهبوط قدر تعلقها بالذوق والتصور النقدي وهذا بطبيعة الحال لايعفي الناقد الحذق من ضرورة البحث والاستقصاء عن حقيقة الادب ومعانيه وصوره عند هذا الاديب او ذاك ،سيما وكما هو معروف ان كل عمل ادبي انما هو عمل موجه للآخرين، وان قوانين الادب بشكل عام وقوانين الشعر بشكل خاص لا يمكن ان يكتمل تعبيرنا عنها في اي فترة من الزمن ،بل نحتاج الى تفهمها تفهما جديدا وصياغة جديدة كلما اتسعت خبرتنا وازدادت عمقا تبعا لذلك ، وفضلا عن ما تقدم يمكن القول: ان دراسة هذا الشاعر تبقى فقيرة الى دراسات اخرى

لتقويمه وتقويم شعره ،وان كان الدكتور عبد الله الجبوري قد جمع ديوانه واخباره ، ولكن وكما يبدو ان الجبوري لم يجمع كل ما تبقى من شعره .ومن هنا يبقى الباب مفتوحا لمن ارد البحث والتقصي عن حقيقة هذا الشاعر العباسي المغمور وشعره في الحياة والكتب.

خاتمة البحث

انمازت الحياة الأدبية في العصر العباسي رقيها وثمار شجرة نتاجها الذي اغنى المكتبات العربية بتراث قيم متمثلا بالكتب والمصنفات في مختلف جوانب المعرفة, ولقد كان للشعر العباسي دوره الفعال في ترجمة الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية في ذلك العصر، ولقد تحدثت في هذا البحث وبشيء من الاختصار عن شاعر عباسي مغمور _حسب ما ذكره صاحب كتاب (شعراء عباسيون منسيون)_وأرى وحسب ما طلعت عليه من اسلوبه الرائع في توظيف المفردة في شعره ان ابا الشيص الخزاعي قد اجاد وابدع في أشعاره وملحه ونوادره ذكرتها المصادر القديمة وقد تضمنت هذه الاشعار اغراضاً شتى،ولكن وكما يبدوا ان شاعرنا قد اكثر من اسلوب الوصف في هذه الاغراض. لم يذكر الرواة شيئا عن نشأته الاولى،غير ان بعض منهم قد ذكر انه ولد في الكوفة ،وقد برزت شاعريته في القرن العباسي الثاني وهي بيئة القرن الذهبي الذي شهدته بغداد وهو القرن الذي ولد فيه الشاعر ومات فيه بعد ان فقد بصره وهو دليله الذ يهديه وقائده وسائس بدنه فكان كثير الشكاية من الدهر والوجع ولقد تباينت آراء النقاد والباحثين في شعره ،قام الباحث في ذكر ما كان اكثرها شيوعا في المصادر الادبية والتاريخية متوخياً الامانة العلمية في ذلك لقد عرض الباحث آراء الرواة والنقاد في شعر ابي الشيص ونقده وتقويمه، فضلا عن الآراء التي ذكرها النقاد فيما يخصص ميميته المعروفة بأبياتها المشهورة الاربعة على السنة الرواة والمحدثين لما تحمله من معان مبتكرة ،الامر الذي دفع ابو نؤاس للسطو على البيت الاول منها

ليصوغه بأسلوبه ،وهذا الامر باعتقاد الباحث انما جاء نتيجة للتطور الحاصل في الثقافة والادب في العصر العباسي ومع هذا التطور اتسعت السرقات الشعرية الى حد كبير حتى الفت في هذا الشأن كتب تناولها النقاد وقد وضعت لها اسس وقوانين، وان كانت الامور تقاس بخواتمها ،فأني لأرجو من الله العلي القدير ان تكون خاتمة عملي هذه خيره، في وضع بصمتي على صفحة من صفحات التراث العريق في الشعر العباسي .وأساله تعالى المغفرة وحسن العاقبة.

مصادر البحث

- أشعار أبي الشيص الخزاعي واخباره.عبدالله الجبوري.مطبعة الاداب.النجف الاشرف.ط.١٩٦٧م.
- الاغاني لابي الفرج الاصفهاني.تحقيق احسان عباس.دار صادر .بيروت٢٠٠٢م.
- امالي المرتضى ،الشريف المرتضى،تحقيق ابو الفضل ابراهيم،دار الكتاب العربي،بيروت ط ٢، ١٩٧٦م.
- البديع في نقد الشعر.اسامة بن منقذ.ت، احمد بدوي .الباب الحلبي_القاهرة.١٩٦٠م.
- الايضاح في علوم البلاغة.الخطيب جلال الدين القزويني.دار الكتب العلميه بيروت.ط٢. ٢٠١٠م.
- البداية والنهاية،عماد الدين اسماعيل ،ابن كثير ، القاهره ،(د ط) (د ت).
- التمثيل والمحاضره,للثعالبي.تحقيق زهيه سعدو.دار ابن حزم.بيروت.٢٠٠٣م.
- •التلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير,احمد بن حجر العسقلاني.دار الكتب العلمية .بيروت.٤ اجزاء.ط١٩٨٩.١م.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.ت، بشار عواد .دار الغرب الاسلامي.بيروت.٢٠٠١م.
- •تاريخ الادب العربي،عمر فروخ،بيروت، دار العلم للملايين،ط٢، ١٩٨٠.
- جمهرة انساب العرب.ابن حزم ,ت، عبدالسلام هارون.دار المعارف _مصر.(د.ت).

- •ديوان أبي الشيص الخزاعي.ت ,شاكر العاشور.دار صادر_بيروت_ط.٢٠١٣م.
- الزهره للاصفهاني.ت، ابراهيم السامرائي.الزرقاء.الاردن.١٩٨٥م.
- ٠سمط اللألىء،ج١، لابي عبد البكري،ت، عبد العزيز الميمني،القاهره،لجنة التاليف والترجمة والنشر،ط١ ،١٩٣٦م.
- ٠شرح ديوان ىالحماسة للمرزوقي، تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون،لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة, ط٢، ١٩٦٧م.
- .الشعر والشعراء،ابن قتيبة، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، القاهرة،ط١، ١٩٥٨م
- الشعر والاسطوره،موسى زناد سهيل ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط١ ، ٢٠٠٨م.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، أبو القاسم ابن بشكوال، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠١٠م.
- ٠العمده لابن رشيق القيرواني,نشره محمد محي عبد الحميد.مطبعة السعاده _مصر.١٩٥٥م.
- ٠العقد الفريد.ابن عبد ربه.ت، محمد التونجي,دار صادر.بيروت٢٠٠١م.
- •الفهرست ، ابن النديم ،بيروت دار النمعرفه ،ط٢، ١٩٨٧م.
- قصائد العشق والجمال في الشعر العربي، عمر فاروق الطباع، دار القلم، ط١، ١٩٩٣.
- ٠طبقات الشعراء، ابن المعتز.ت، عبدالسلام احمد فراج.دار المعارف_مصر.١٩٨٦م.
- كتاب الصناعتين,الكتابة والشعر,لابي هلال العسكري.ت، مفيد قميحه.دار الكتب العلميه.
- بيروت.ط١٩٨٩,٢م.
- ٠معاهد التنصيص على شواهد التلخيص.عبد الرحيم العباسي.نشره محمد محي الدين عبد الحميد.مطبعة السعاده_مصر.١٩٤٧م.
- .٠المدهش,لابي الفرج جمال الدين الجوزي,تحقيق مروان قباني.دار الكتب العلميه.بيروت.ط١٩٨٥.٢م.

• •النقدية العربية من الاصمعي الى ابن خلدون،قيس كاظم الجنابي،مكتبة الثقافة الدينية،ط١، ٢٠١١م. .